

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فلسفة الحق والواجب في الإسلام

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَعَ الْحُقُوقَ وَالْوَاجِبَاتِ، وَحَثَّ عَلَى الْفَضَائِلِ وَالطَّاعَاتِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، أَمَرَ بِالصِّدْقِ فِي الْأَقْوَالِ، وَالْإِتْقَانِ فِي الْأَعْمَالِ، وَالْعَدْلِ فِي جَمِيعِ الظُّرُوفِ وَالْأَحْوَالِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَحْرَصَ الْخَلْقِ عَلَى فِعْلِ الْحَسَنَاتِ، وَأَكْثَرَهُمْ عَفْوًا عَنِ الزَّلَّاتِ، وَتَجَاوَزًا عَنِ الْهَفَوَاتِ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْأَطْهَارِ، وَأَتَّبَاعِهِمُ الْبِرَّةَ الْأَخْيَارِ، صَلَاةً وَسَلَامًا دَائِمِينَ مَا تَعَاقَبَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ.

أَمَّا بَعْدُ، فَأَوْصِيكُمْ وَنَفْسِي - عِبَادَ اللَّهِ - بِتَقْوَاهُ، وَالْعَمَلِ بِمَا فِيهِ رِضَاؤُهُ ﴿ذَلِكُمْ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿(١)﴾، وَاعْلَمُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَنَّ مُجْمَلَ أَفْكَارِ الْإِنْسَانِ وَأَقْوَالِهِ، وَتَصَرُّفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَمَطَالِبِهِ وَنَوَالِهِ، تَدُورُ حَوْلَ مَحَوْرِ الْحُقُوقِ وَالْوَاجِبَاتِ، وَالْكَيْسِ مَنْ وَفَّقَ إِلَى الْمُوَازَنَةِ بَيْنَهُمَا، وَأَتَّقَنَ أَدَاءَهُمَا، فَإِنَّ الشَّطَطَ فِي أَيِّ مِنْهُمَا يَقُودُ إِلَى الْخَلَلِ، وَالْجَهْلُ بِأَحْكَامِهِمَا مَدْعَاةٌ إِلَى الزَّلَلِ، وَقَدْ نَبَّهَتْ نُصُوصُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَسُنَّةُ النَّبِيِّ الْأَمِينِ ﷺ إِلَى وُجُوبِ مُرَاعَاةِ الْأَمْرَيْنِ، حَتَّى فِي أَضْيَقِ دَوَائِرِ الْحَيَاةِ كَالْعَلَاقَةِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ ﴿(٢)﴾، وَفِي الْمَالِ يُذَكَّرُ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِالْأَلَّا يُنْسِيَهُمْ حَقَّ الْإِسْتِمْتَاعِ بِالطَّيِّبَاتِ مَا فَرَضَ عَلَيْهِمْ فِيهَا مِنَ الْوَاجِبَاتِ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْثَرَهُمُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ

(١) سورة الطلاق / ٢-٣ .

(٢) سورة البقرة / ٢٢٨ .

ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ۖ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١﴾، إِنَّ الْوَاجِبَ وَالْحَقَّ مُتَلَازِمَانِ فِي كُلِّ تَشْرِيعٍ سَمَاوِيٍّ أَوْ وَضْعِيٍّ، فَالْوَاجِبَاتُ تُقَابِلُهَا حُقُوقٌ، وَالْحُقُوقُ تُقَابِلُهَا وَاجِبَاتٌ، فَعَمَلُ الْعَامِلِ التَّزَامٌ وَاجِبٌ، فَإِنْ أَدَّاهُ صَارَ لَهُ حَقٌّ وَهُوَ الْأَجْرُ أَوْ الْمُكَافَأَةُ، وَالطَّالِبُ دِرَاسَتُهُ وَاجِبَةٌ، فَإِذَا أَدَّى وَاجِبَهُ فِيهَا صَارَ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يَنَالَ النَّجَاحَ، وَأَمَانَةَ التَّاجِرِ وَصَدِيقَهُ وَاجِبَانِ، فَإِنْ التَّزَمَهُمَا صَارَ مِنْ حَقِّهِ أَخْذُ الثَّمَنِ، وَإِذَا أَدَّى الْإِنْسَانُ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ كَانَ حَقِيقًا أَنْ يَنَالَ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى مِنْ مَوْلَاهُ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ ۖ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿٢﴾.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ:

إِنَّ مِنْ مَعَالِمِ فِلْسَفَةِ الْإِسْلَامِ فِي الْحُقُوقِ وَالْوَاجِبَاتِ، تَقْدِيمَ الْأَعْمَالِ وَالْمُبَادَرَاتِ، قَبْلَ التَّقَدُّمِ بِالْحَاجَاتِ وَالطَّلِبَاتِ، وَفِي ذَلِكَ تَهْدِيبٌ لِلْفِكْرِ وَتَرْبِيَةٌ، وَإِصْلَاحٌ لِلنَّفْسِ وَتَرْكِيَةٌ، حَتَّى تَتَطَهَّرَ مِنَ الْأَنَانِيَّةِ، وَتَتَخَلَّصَ مِنْ تَقَاةِ الْخُمُولِ وَالْإِتْكَالِيَّةِ، فَفِي سُورَةِ الْإِنْشِرَاحِ، يُبَيِّنُ الْحَقُّ تَعَالَى أَهْمِيَّةَ ذَلِكَ فِي التَّرْبِيَّةِ وَالْإِصْلَاحِ، أَلَمْ تَرَ كَيْفَ أَمَرَ رَسُولُهُ ﷺ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ، وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ (٣)، فَقَدْ أَمَرَهُ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي الْعِبَادَةِ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهَا نَصَبَ فِي الدُّعَاءِ، وَتَعَلَّقَ بِأَسْبَابِ الرَّجَاءِ، رَاغِبًا وَطَامِعًا فِي الْعَوْنِ مِنْ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، إِنَّهَا تَرْبِيَّةٌ لِلْإِنْسَانِ عَلَى التَّزَامِ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنْ وَاجِبَاتٍ، وَوَعْدٌ لَهُ بِأَنْ يَنَالَ - بَعْدَ ذَلِكَ - حُقُوقَهُ كَامِلَةً غَيْرَ مَنْقُوصَةٍ، وَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ يَرِبُطُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْوَاجِبِ، وَيَجْعَلُ الْوَاجِبَ هُوَ الْأَسَاسَ لِلْفُوزِ بِالْحُقُوقِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ

(١) سورة الأنعام / ١٤١ .

(٢) سورة آل عمران / ١٩٥ .

(٣) سورة الشرح / ٧-٨ .

أَقْدَامِكُمْ»^(١)، بَلْ يَجْعَلُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ اجْتِهَادَ الْمَرْءِ لِتَغْيِيرِ أَحْوَالِهِ، شَرْطًا لِنَيْلِ مَعُونَةِ اللَّهِ وَكَرَمِهِ وَفَضْلِهِ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(٢)، وَلَكِي يَسْتَحِقُّ الْإِنْسَانُ نُزُولَ السَّكِينَةِ وَالطَّمَأْنِينَةِ يَجِبُ عَلَيْهِ الْاسْتِقَامَةُ عَلَى الطَّاعَةِ، وَالْقِيَامُ بِمَا يَلْزَمُهُ قَدْرَ الْإِسْتِطَاعَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾^(٣)، وَحَتَّى يَسْتَحِقَّ الْمَرْءُ إِجَابَةَ دُعَائِهِ، وَتَحْقِيقَ مَطَالِبِهِ وَرَجَائِهِ، يُؤْمَرُ أَنْ يَكُونَ مُصْلِحًا لِحَالِهِ، صَادِقًا فِي أَقْوَالِهِ، مُسْتَقِيمًا فِي أَفْعَالِهِ، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾^(٤)، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّهَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا﴾^(٥)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنتُمْ إِتْيَاهُ تَعْبُدُونَ﴾^(٦))).

عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ الْمَرْءَ إِذَا أَدَّى مَا عَلَيْهِ مِنْ وَاجِبَاتٍ، وَوَفَّى مَا نَيْطَ بِهِ مِنَ التَّزَامَاتِ؛ حُقَّ لَهُ أَنْ يُوَفَّى أَجْرَهُ بِلا تَلَكُّوْ أَوْ مُمَاطَلَاتٍ، فَالْإِسْلَامُ يَأْمُرُ بِسُرْعَةِ الْوَقَاءِ، وَالْمُبَادَرَةِ إِلَى تَقْدِيمِ الْأَجْرِ وَالْعَطَاءِ، قَبْلَ أَنْ يَذْهَبَ عَنِ الْعَامِلِ الْعَنَاءُ، فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرْقُهُ))، بَلْ

(١) سورة محمد / ٧ .

(٢) سورة الرعد / ١١ .

(٣) سورة فصلت / ٣٠ .

(٤) سورة البقرة / ١٨٦ .

(٥) سورة المؤمنون / ٥١ .

(٦) سورة البقرة / ١٧٢ .

ضَمِنَ لِأَصْحَابِ الْحُقُوقِ حُقُوقَهُمْ، بِصُورَةٍ تَحْفَظُ مَشَاعِرَهُمْ، وَتَصُونُ إِنْسَانِيَّتَهُمْ وَكَرَامَتَهُمْ، حِينَ أَوْجِبَ أَدَاءَ هَذِهِ الْحُقُوقِ كَامِلَةً بِلَا نُقْصَانٍ، وَلَا مُمَاطَلَةَ وَلَا امْتِهَانَ، فَقَدْ نَصَّ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ عَلَى الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ، لِمَنْ يَسْتَوْفِي حُقُوقَهُ مِنَ النَّاسِ، وَعِنْدَ أَدَاءِ مَا عَلَيْهِ يَبْتَعِدُ عَنِ الْمَنْهَجِ الرَّشِيدِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ، الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ، أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ، لِيَوْمٍ عَظِيمٍ، يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١)، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ((قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصَمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أُعْطِيَ بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ))، فَالْمُبَادَرَةُ إِلَى أَدَاءِ الْحَقِّ مَطْلَبٌ شَرْعِيٌّ، وَمَطْلُ الْغَنِيِّ الْقَادِرِ ظَلْمٌ جَلِيٌّ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ((مَطْلُ الْغَنِيِّ ظَلْمٌ))، إِنَّ السَّمَاخَةَ فِي الْأَخْذِ وَالْعَطَاءِ خُلُقٌ كَرِيمٌ، وَمَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ السُّلُوكِ الْقَوِيمِ، وَثَوَابُهَا الرَّحْمَةُ مِنَ الْبَرِّ الرَّحِيمِ، فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ((رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا سَمَحًا إِذَا بَاعَ، سَمَحًا إِذَا اشْتَرَى، سَمَحًا إِذَا قَضَى، سَمَحًا إِذَا اقْتَضَى)).

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

لَقَدْ جَاءَتْ عِنَايَةُ الْإِسْلَامِ بِالْحُقُوقِ الْإِنْسَانِيَّةِ عَامَةً، بِحَيْثُ شَمِلَتْ الْحُقُوقَ الْمَادِيَّةَ، وَلَمْ تُغْفَلِ الْحُقُوقَ الْمَعْنَوِيَّةَ، وَمَا أَهْمَلَتْ الْإِلْتِمَامَاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةَ، فَضْلًا عَنِ الْوَاجِبَاتِ الدِّينِيَّةِ، فَفِي حَدِيثِ جَامِعٍ وَرَدَ عَمَّنْ أُوتِيَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ ﷺ مِنْ طَرِيقِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ: إِذَا لَقِيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانصَحْهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدِ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدَّهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ))، إِنَّ الْحُقُوقَ وَالْوَاجِبَاتِ فِي الْإِسْلَامِ لَا تَخْضَعُ لِلرَّغَبَاتِ النَّفْسِيَّةِ، وَلَا تَتَحَكَّمُ فِيهَا الْمَشَاعِرُ الشَّخْصِيَّةُ، بَلِ الْإِحْسَانُ فِيهَا مِنْ شُعْبِ الْإِيمَانِ، وَالنَّقْصِيرُ فِيهَا

ضَرْبٌ مِنْ ضُرُوبِ الْعِصْيَانِ، كَيْفَ لَا؟ وَالْأَمْرُ بِهَا الْوَاحِدُ الدِّيَانُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾^(١)، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(٢)، إِنَّهُ أَمَرَ إِلَهِيًّا بِالْعَدْلِ فِي الْحُقُوقِ وَالْوَاجِبَاتِ، الْعَدْلُ الَّذِي يَكْفُلُ لِكُلِّ فَرْدٍ وَجَمَاعَةٍ قَاعِدَةً ثَابِتَةً لِلتَّعَامُلِ، لَا تَمِيلُ مَعَ الْهَوَىٰ، وَلَا تَتَأَثَّرُ بِالْوُدِّ وَالْبُغْضِ، وَلَا تَتَبَدَّلُ مُجَارَاةً لِلصَّهْرِ وَالنَّسَبِ، وَالغِنَى وَالْفَقْرِ، وَالقُوَّةِ وَالضَّعْفِ، إِنَّمَا تَمْضِي فِي طَرِيقِهَا وَهِيَ تَزِنُ بِمِيزَانٍ وَاحِدٍ لِلْجَمِيعِ، وَبَعْدَ الْأَمْرِ بِالْعَدْلِ أَمَرَ سُبْحَانَهُ بِالْإِحْسَانِ الَّذِي يُلَطِّفُ مِنْ حِدَّةِ الْعَدْلِ الصَّارِمِ الْجَازِمِ، وَيَدْعُ الْبَابَ مَفْتُوحًا لِمَنْ يُرِيدُ أَنْ يَنْسَامِحَ فِي بَعْضِ حَقِّهِ إِثَارًا لَوُدِّ الْقُلُوبِ، وَشِفَاءً لَغَلِّ الصُّدُورِ، أَوْ لِمَنْ يُرِيدُ أَنْ يَنْهَضَ بِمَا فَوْقَ الْعَدْلِ الْوَاجِبِ عَلَيْهِ، وَالْأَمْرُ بِالْإِحْسَانِ يَشْمَلُ كُلَّ تَعَامُلٍ فِي مُحِيطِ الْحَيَاةِ، فِي عِلَاقَاتِ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ، وَعِلَاقَاتِهِ بِأَسْرَتِهِ، وَعِلَاقَاتِهِ بِمُجْتَمَعِهِ، وَعِلَاقَاتِهِ بِالْبَشَرِيَّةِ جَمِيعًا.

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَأَحْسِنُوا أَدَاءَ الْحُقُوقِ وَالْوَاجِبَاتِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ الطَّاعَاتِ؛ تَصْلُحْ لَكُمْ الْحَيَاةُ، وَتَسْعُدُوا فِي الْجَنَّةِ بَعْدَ الْمَمَاتِ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يُغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ.

*** **

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَرِيمِ الْمَنَّانِ، الْأَمْرُ بِالْعَفْوِ وَالْإِحْسَانِ، الْمُتَّفَضِّلِ بِالْجُودِ وَالْإِمْتِنَانِ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى الْمَبْعُوثِ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، الْأَمْرُ بِقَبُولِ عُذْرِ الْمُعْتَذِرِينَ، وَعَلَى اللَّهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَعَلَى أَتْبَاعِهِ وَحَزْبِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

(١) سورة النساء / ٥٨ .

(٢) سورة النحل / ٩٠ .

أَمَا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللَّهِ:

إِنَّ الْحَقَّ مَعَ أَنَّهُ وَاجِبٌ أَدَاؤُهُ، وَفَرَضُ التَّزَامُهُ، إِلَّا أَنَّ الْإِسْلَامَ يَغْرَسُ فِي نَفُوسِ أَتْبَاعِهِ تَقَافَةَ التَّسَامُحِ وَالتَّقْدِيرِ، وَيُنَهَاهُمْ عَنِ التَّشْدِيدِ وَالتَّعْسِيرِ، وَيَضَعُهُمْ أَمَامَ حَقِيقَةِ لَا بُدَّ مِنْ اسْتِيعَابِهَا، وَلَا مَنَاصَ مِنَ التَّعَامُلِ بِمُقْتَضَاهَا، أَلَا وَهِيَ حَقِيقَةُ أَنَّ الْخَطَأَ مِنْ بَنِي الْبَشَرِ أَمْرٌ وَارِدٌ، وَلِذَلِكَ حَثَّهُمْ عَلَى الْعَفْوِ وَالْمَغْفِرَةِ وَلَا سِيَّمَا لِغَيْرِ الْمُتَعَمِّدِ الْقَاصِدِ، يَقُولُ الْحَقُّ تَعَالَى:

﴿ وَجَزَاؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ^ط فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (١)، وَعَنْ أَنَسٍ -

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: ((كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَائِينَ التَّوَّابُونَ))، إِنَّ هَذِهِ النُّصُوصَ تَضَعُ قَاعِدَةً مُهِمَّةً فِي فِلْسَفَةِ الْحَقِّ وَالْوَاجِبِ فِي الْإِسْلَامِ، إِنَّهَا قَاعِدَةٌ تَفْهَمُ الْخَطَأَ وَالصَّفْحَ عَنِ الْمُعْتَذِرِ، وَالتَّجَاوُزَ عَنِ هَفْوَةِ الْمُقْصِرِ، إِنْ لَمْ يَتَرْتَّبْ عَلَى التَّجَاوُزِ ضَرَرٌ فِي الدِّينِ أَوْ النَّفْسِ أَوْ الْعَرِضِ، وَأَمَّا الْمَالُ فَإِنَّ الْكَرِيمَ مَنْ جَادَ بِمَالِهِ لِحِفْظِ مَحَامِدِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ ^ط إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢)، وَطَلَبُ الْحُقُوقِ فِي الْإِسْلَامِ لَيْسَ انْتِقَامًا، وَأَدَاءُ الْوَاجِبَاتِ لَيْسَ ذَلَّةً وَلَا

امْتِهَانًا، بَلِ الْغَايَةُ مِنْ ذَلِكَ الْعَفْوُ الْإِلَهِيُّ، وَالْأَمْنُ وَالِاسْتِقْرَارُ الْاجْتِمَاعِيُّ، وَإِزَالَةُ أَسْبَابِ الْخِلَافِ وَدَوَاعِي الْحِقْدِ الْقَلْبِيِّ، وَلِهَذَا وَضَعَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مَبَادِيءَ سَامِيَّةً، وَضَوَابِطَ دَقِيقَةً رَاقِيَةً، يَسِيرُ عَلَيْهَا الْعَافِي وَالْمَعْفُو عَنْهُ، وَيَلْتَزِمُهَا الْمُسْتَوْفِي وَالْمُسْتَوْفَى مِنْهُ، وَنَجِدُ ذَلِكَ وَاضِحًا فِي مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرِّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ

بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأَنْثَى ^ط فَمَنْ عَفَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأَتْبَاعُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ^ط فَمَنْ أَعَدَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٣)، فَالْآيَةُ مَعَ تَقْرِيرِهَا لِمَبْدَأِ الْقِصَاصِ إِلَّا أَنَّهَا تَحْتُّ عَلَى الْعَفْوِ، فَالْقَاتِلُ إِذَا سَامَحَهُ وَلِيُّ الْمَقْتُولِ بِالْعَفْوِ عَنِ الْاِقْتِصَاصِ مِنْهُ وَاكْتَفَى بِأَخْذِ الدِّيَةِ؛ فَلْيَلْتَزِمِ الطَّرْفَانِ بِحُسْنِ الْخُلُقِ، فَيُطَالِبِ الْوَلِيُّ بِالْدِّيَةِ مِنْ غَيْرِ عُنْفٍ، وَيَدْفَعُ

(١) سورة الشورى / ٤٠ .

(٢) سورة البقرة / ٢٨٠ .

(٣) سورة البقرة / ١٧٨ .

الْقَاتِلُ إِلَيْهِ حَقُّهُ بِإِحْسَانٍ، مِنْ غَيْرِ تَأْخِيرٍ وَلَا نَقْصَانٍ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَالزَّمُوا السَّمَاحَةَ فِي أَخْذِكُمْ وَعَطَائِكُمْ، وَالْوَفَاءَ فِي حُقُوقِكُمْ
وَوَاجِبَاتِكُمْ، وَالْيُسْرَ فِي مُطَالَبَاتِكُمْ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ فَضَائِلِ دِينِكُمْ وَشَمَائِلِ نَبِيِّكُمْ ﷺ، وَفِيهِ
تَقْوِيَةٌ لَأَلْفَتِكُمْ، وَشَدُّ لِرَوَابِطِ الْمَحَبَّةِ بَيْنَكُمْ.

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلَّمُوا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ، وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ، فَقَدْ أَمَرَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى
بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ قَائِلًا عَلِيمًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ
عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (١).

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسَلَّمْتَ عَلَى
سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ،
كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ،
وَارِضٌ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ
أَجْمَعِينَ، وَعَنْ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَقَرُّفَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَقَرُّفًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ
فَيْنَا وَلَا مَعَنَا شَقِيًّا وَلَا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى وَالعَفَافَ وَالعَنَى.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ كُلًّا مِنَّا لِسَانًا صَادِقًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا خَاشِعًا مُنِيبًا، وَعَمَلًا
صَالِحًا زَاكِيًّا، وَعِلْمًا نَافِعًا رَافِعًا، وَإِيمَانًا رَاسِخًا ثَابِتًا، وَيَقِينًا صَادِقًا خَالِصًا، وَرِزْقًا حَلَالًا
طَيِّبًا وَاسِعًا، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَوَحِّدِ اللَّهُمَّ صُفُوفَهُمْ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَاكْسِرْ
شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزِّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.
اللَّهُمَّ رَبَّنَا اسْتَقْنَا مِنْ فَيْضِكَ الْمِدْرَارِ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الذَّاكِرِينَ لَكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ،
الْمُسْتَغْفِرِينَ لَكَ بِالْعَشِيِّ وَالْأَسْحَارِ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي
ثَمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وَكُلِّ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.
رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ.
رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ.
اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ
سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللَّهِ:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ
يُعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.